ذاكرة تدبير ندرة الماء وترشيده ببلاد المغرب الأقصى بين العرف والضوابط الشرعية

The memory of managing the scarcity of water and rationalizing it in the Morocco between custom and islamic controls

ادريس بلعابد(*)

المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة الشرق ـ المملكة المغربية

benali98@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/02/14 تاريخ القبول:2021/05/29 تاريخ النشر: 2021/06/30

ملخص:

اعتبر الماء عبر مختلف الحقب التاريخية، عنصرا متحكما في إنتاج الرخاء والأزمات معا ببلاد المغرب الأقصى. فقد كانت أمور الحياة لدى العامة تتأثر بندرته، وتتقلب أحوالها تبعا للمناخ والفصول. والمكانة المتميزة للماء جعلت من تدبيره إحدى الأولويات لدى فئة العامة، كما كان سببا في بروز نزاعات بين أطراف مختلفة. فبمجرد تأخر الأمطار وتسجيل ندرة في الماء تبدأ بوادر الأزمة منطلقة من ارتفاع الأسعار وصولا إلى المجاعات المتسببة بدورها في نتائج ديموغرافية واجتماعية.

وأنتجت النزاعات حول الماء في تاريخ المغرب الأقصى أعرافا وأنظمة استغلال، مكنت من اقتراح حلول للصراعات الفردية والجماعية حول الموارد المائية، والحفاظ على الماء وترشيد استعماله نال نصيبه من الفتاوى، فقد شكلت نوازل المياه موضوعا أساسيا داخل كتب النوازل، وأشارت للمشاكل التي كانت تثار بسبب قسمة الماء، وتحديدا خلال حقبة الجفاف.

الكلمات الدالة: ندرةالماء، تدبير، لمغربالأقصى، العامة، العرف، الفتاوى، الادخار، الترشيد.

Abstract:

(*) **المؤلف المرسل: ادريس بلعابد: benali98@hotmail.com**

Water, through various historical periods, is considered a controlling element in the production of prosperity and crises together in the Morocco. Public life was affected by its incorporation, and its conditions fluctuated depending on the climate and seasons. The privileged status of water has made its management a priority for the public and has caused conflicts between different parties. Once the rains are delayed and there is a scarcity of water, the signs of the crisis begin to rise from rising prices to famines, which in turn cause demographic and social consequences.

Conflicts over water in the history of Morocco have produced customs and exploitation systems, which have enabled the proposal of solutions to individual and collective conflicts over water resources, and the conservation and rationalization of water use, which has received its share of fatwas. Water fountains have been a key theme within the books of the fountains, and referred to the problems that were raised by the division of water, specifically during the drought era.

Keywords: Water scarcity; management; Morocco; the public; Custom; Fatwas; Savings; Rationalization

---

مقدمة:

يعتبر المناخ من العوامل الحاسمة المؤثرة في تاريخ بلادالمغرب الأقصى خلال مختلف الحقب. وقد كانت أمور الحياة كلها تقريبا، وحتى السياسية منها، تنقلب رأسا على عقب تبعا للمناخ والفصول. وبالاستناد إلى الإفادات التاريخية، فالماء كان هو المتحكم الأكبر في إنتاج الرخاء والأزمات معا. ووجود وضع مناخي عادي ومناسب كان مؤشرا لبداية فترة عيش واستهلاك جيدة، خصوصا أن الكثير من الأطعمة المستهلكة ببلاد المغرب هي ذات مصدر نباتي، وفي مقدمتها الحبوب. وفي الوقت نفسه كان المناخ مصدرا لصعوبات وأزمات، إذ بتأخر المطر كان اليأس يعم المدن والبوادي، وترتفع الأسعار.

والمكانة المتميزة للماء،جعلت من تدبيره إحدى الأولويات كما كان موضوعا لنزاعات بين أطراف مختلفة. إذ بتأخر الأمطار وتسجيل ندرة في الماء تبدأ بوادر الأزمة منطلقة من ارتفاع الأسعار وصولا إلى المجاعات، أو ما عرف بأزمنة الحاجاتالمتسببة بدورها في نتائج ديموغرافية.كما ظهرت نزاعات فردية وجماعية حول مصادر المياه استدعت حلولا وأساليب تدبير كان للعرف وفقه النوازل نصيب في اقتراحها. وأسهم فقه النوازل في توفير ضوابط شرعية لتدبيرموارد المياه، فمن خلال أجوبة الفقهاء تشكل تراث مهم تَضَمَّن اجتهادات وأجوبة، وكشفت النوازل التي كانت ترفعها العامة، عن العادات والأعراف السائدة بالمغرب والتي كانت بمثابة قوانين مجتمعية وأنظمة لتدبير واستغلا للثروة المائية.

ونتطرق في هذه الدراسة البحثية لنماذج من أساليب تدبير الثروة المائية في ذاكرة بلاد المغرب الأقصوالحلول المعتمدة لمواجهة النزاعات حول مصادر المياه. وتمت دراسة هذه التدابير عبر محورين يتضمنان مقاربة تاريخية لعملية تدبير ندرة الماء، ودور العرف والضوابط الشرعية الممثلة في فقه النوازل في حل النزاعات حول مصادر المياه.

1.تدبير ندرة الماء

1.1 . التدبير المادي:

إن تعاقب سنوات الجفاف في تاريخ المغرب فرض على العامة عادات كانت في أصلها أساليب وطرق لمواجهة هذه الأزمات. بل الاعتياد أكسب الناس الاستعداد والتحسب لأزمات الجفاف والمجاعات. وكان الادخار والتخزين أحد الأساليب المستعملة في ذلك. وهو ما كشف عن خصوصية الذهنية [1]المغربية في التعامل مع الأزمات والاستعداد لها. والرحالة الفرنسي جان موكي والذي زار المغرب مع بداية القرن السابع عشر الميلادي، أشار أن جملة ما رآه بالمغرب هو وجود هذا النوع من أساليب التدبير أي ادخار الأقوات والماء، وكل ذلك يشكل امتثالا للأعراف والعادات.

وتشير إفادات تاريخية كثيرة لأساليب أخرى لتدبير ندرة المياه ممثلة في القنوات، وهي في الغالب تدشيناتمخزنية في عدة مدن كفاس ومراكش ومكناس نعتهاالرحالة الأوربيون بالهائلة، وذلك لمستواها التقني و التنظيمي، فعلى سبيل المثال أشارت وثيقة مؤرخة للقرن 18م وتحديدا سنة 1715م إلى الهندسة المتميزة لتوزيع مياه فاس[1]، فقد جمعت مياه النهر في السد ووزعت في قنوات موصلة وكان الهدف من ذلك هو سقي البساتين وتزويد البيوت والمساجد والمدارس والسقايات بالماء، باعتماد تقنية مبتكرة سهرت عليها حرفة منظمة عرفت باسم "القوادسية" متخصصة في وضع القنوات وإصلاحها وكنسها[2].

وتباين تنظيم المخازن والمطامير بالمغرب من مجال جغرافي لآخر، فالمناطق الجبلية كانت أكثر اهتماما بهذا الأسلوب(التخزين) وكان العامل المناخي هو المتحكم في ذلك. وأظهرت وسائل الادخار المعتمدة الاهتمام الذي كان يعطى للعملية في شقيها الرسمي والخاص، فالأهراء والمخازن كانت في العادة ملكا جماعيا يتم الحرص على بنائها في أماكن آمنة، إذيشير الوزان أنها كانت تبنى بالقرب من القصور، وتخضع لتنظيم محكم [3]. غير أن بعض المناطق كانت المطامير نادرة الوجود، والسبب لا لجهل سكانها كيفية الاستفادة منها بل نتيجة بنيتها التضاريسية نتيجة وجود تربة تمتص الماء وتسهل نفاده نحو الأعماق[4].

وكانت بعض المجالات الجغرافية نموذجا لنمط التفكير القائم على استحضار صفات التكافل خصوصا خلال فترات الشدائد والأزمات، وجسد سلوكها هذه الصفات، فقبائل الأطلس الكبير والصغير كانت تعمد إلى بناء مخازن جماعية تحتضن مدخرتها من الأقوات[5]. وكانت هذه المخازن تسمى بتيغرمت لدى قبائل آيت عطا وآيت مرغاد وآيت سغروشن، والتي عمدت بدورها إلى ابتكار مخازن جماعية مكونة من خمس أو ست غرف لخزن أقواتها[6]. وكذلك الشأن بالنسبة للماء، فالحاجة إليه خلال زمن القحط، فرض ابتكار تقنيات لتخزينه، وعلى سبيل المثال خلال القرن السابع عشر كان العرب بمنطقة دكالة يقيمون مطامير عريضة وعميقة لتجميع المياه [7]، وترجم هذا الأسلوب الصعوبات التي واجهت القبائل خلال حقب الجفاف.

بخلاف المجالات السابقة الذكر، اعتبرت الصحراء مجالا منفردا بظروفه الطبيعية والديموغرافية، إذ لم يكن في الغالب مجالا للاستقرار، حتى إنه، كما قال بروديل، "ليس للإنسان فيه مكان إلا بوصفه مسافرا أو متنقلا، كأنه في ذلك ضيف عابر لا يقيم إلا على نحو مؤقت"[8]. وإذا كان تاريخ الصحراء ارتبط أكثر بالتنقل، فالإشارات الواردة بالمصنفات التاريخية تلمح إلى وجود استقرار بشري قرب مصادر الماء، ومن خلاله تشير إلى ظروف الاستقرار والعيش بهذا المجال.

وبالقدر الذي تناولت فيه المظان التاريخية، وخاصة منها كتب الرحلات والمصنفات الجغرافية، الدور التجاري للصحراء، فإنها أوردت إفادات تهم ظروف عيش سكانها واستقرارهم، والذي كان يتم بالطريقة نفسها ودون أية قاعدة ولا منطق[9]. وكان الماء هو الهاجس المتحكم في الاستقرار ونمط العيش بالصحراء. والخوف من الجفاف وقلة الماء تحكمت دوما في عقلية وسلوك سكانها، فكلما أصبحوا مهددين بالعطش أو الجوع، كانوا يلتجئون إلى من يعتقدون صلاحهم من أهل التصوف وأصحاب الزوايا[10].

إن هذه الأوضاع كان لها تأثير في نمط عيش سكان الصحراء، فكان من عاداتهم الصبر على الجوع[11]، والاكتفاء بما تنتجه أرضهم، فحتى المـاء كانوا يستغنون عنه أحيانا، "ومـا دام عندهم اللبن فلا حاجـــة لهم بالمـاء ولاسيما في فصل الربيع، حيث لا يغسل بعضهم أيديهم ولا وجوههم إطلاقا، وسبب ذلك أنهم لا يقصدون أثناء تلك المدة مواقع الماء لأن لديهم اللبن أولا [12]." فالماء عادة لا يوجد إلا على مسافة كل مائة أو مائتي ميل، بالإضافة إلى كونه مالحا ومرا، ويوجد في آبار عميقة، وكان الكثير من الناس يموت بسبب ذلك عطشا[13]. هذه الإكراهات الطبيعية فرضت إذن على سكان الصحراء نمطا استهلاكيا محددا، تجلت قاعدته الأساسية في ترشيد استهلاك الماء.

2.1التدبير الديني

فضلا عن التدابير المادية، لجأ المغاربة بسبب توالي الأزمات المناخيةخلال مختلف الحقب التاريخية إلى تدابير دينية تجسدت في القيام ببعض الشعائر والطقوس كصلاة الاستسقاء والصوم والدعاء. كما– كان للزوايا دور في هذا الشأن.

1.2.1 صلاة الاستسقاء

أولى الشعائر الدينية التي حضرت بقوة خلال فترات نقص الماء ونذرته تمثلت في صلاة الاستسقاء وبعض طقوس الاستمطار التي كانت بمثابة الحل الذي لجأ إليه المغاربة مرارا خلال فترات القحط والجفاف ولعل ما يبرر ذلك وجود سند وتأصيل شرعي لهذا النوع من شعائر الاستنجاد. فكما تشير المصادر التاريخية في إفاداتها فعلاقة المغاربة بالماء كانت تأخذ طابعي الرغبة والخوف لذلك كان الدعاء عادة ما يجسد هذه الثنائية، إذ تضمن مناجاة الله عز وجل بإنزال المطر ولكن المتسم بصفة النفعية، وهذا يبرر أن العلاقة مع المطر كانت محكومة بإكراهي الجفاف والسيول. وإذا كان المسلمون رأوا في هذه الصلاة الوسيلة لتجاوز زمن الشدة والمسغبة، فاليهود اعتمدوا الصوم والدعاء طلبا للمطر.وكانت طقوس مختلفة ترافق الاستسقاء وقد مارسها المسلمون واليهود على السواء.

كانت صلاة الاستسقاء وما يرافقها من طقوس في مقدمة الأساليب التي كان يتم التفكير فيها كحل، وبالتالي كانت تقام عادة بعد انحباس المطر. فالماء له حضوره المقدس في المخيال المغربي باعتباره أصل الحياة و ما يزكي ذلك السند القرآني [14]المجسد في الآية الكريمة المتضمنة لقوله تعالـــى : "وجعلنا من الماء كـل شيء حي" [الآية 30 . سورة الأنبياء] هذه المكانة رفعت الماء إلى مرتبة القدسية جمعت فيه صفتي الخصب و العقاب ، ونذرة هذا العنصر كانت بداية لممارسة شعائر وطقوس ولو اقتضى الأمر تكرارها لمرات، ويصدق ذلك على سنة 1044هـ/1634م، فمن قلة المطر عطش الزرع، فكرر الناس صلاة الاستسقاء،[15] كما كانت تقام بعد الغلاء والمجاعات، "ففي عام 1091هـ/1680م حدث غلاء بسبب تأخير المطر (...) وصلى الناس صلاة الاستسقاء مرارا"[16].

ورغبة في إعطاء هذه الشعيرة قيمتها، كان السلطان هو من يأخذ المبادرة للدعوة لإقامة صلاة الاستسقاء ويحرص على المشاركة فيها. فالمولى إسماعيل خرج سنة 1680م مع "الرعية لطلب الاستسقاء، مكشوف الرأس حافي القدمين لابس رث ثياب المهنة المؤذنة بغاية العبودية والتذلل والانكسار[17]". وكانت تصاحب بمجموعة طقوس، ففي نفسالسنة(1680م) وطلبا للمطر، أمر السلطان الفقهاء والصبيان بالتطوف على أضرحة الصالحين والمساجد، وخرج بدوره حافي القدمين في مذلة مصحوبا بحاشيته وعدد كبير من رعيته[18]. وفي عام 1094هـ/1683م تأخر المطر وكررت صلاة الاستسقاء وأطعم المولى محمد (ابن المولى إسماعيل وخليفته على فاس) الطعام بزاوية سيدي عبد القادر الفاسي بقصد الاستسقاء[19].

هذه الطقوس وإن كان هناك ما يبررها شرعا، فهي جسدت جزءا من العادات التي يظهر من خلال الإفادات المصدرية أن أصلها لا يقترن بالعصر الحديث أو الفترة المعاصرة، بل يعود إلى العصر الوسيط، إذ يورد ابن أبي زرع الفاسي، في معرض حديثه عن قيام السلطان المريني "أبي سعيد" بأداء صلاة الاستسقاء بعد موجة القحط التي عرفتها البلاد سنة 711هـ، هذه الطقوس،فقد: "مشا على قدميه حتى وصل المصلى والفقهاء والصلحاء والقراء بين يديه بالذكر[20]".كما زار قبر الشيخ أبي يعقوب الأشقر، ودعا الله هناك، ولم يرجع من هنالك إلا والمطر العام بجميع البلاد[21].

كانت تتم الاستعانة كذلك بالصلحاء والعلماء لإقامة صلاة الاستسقاء، كما كانت تعاد أكثر من مرة ، كما هو الشأن سنة 1680م فقد " صلى الناس صلاة الاستسقاء مرارا ، فأول خطيب بها أبو عبد الله بردلة كرر الصلاة ثلاث مرات فنزل قليلا من المطر لا يكفي، ثم أعيدت الصلاة وخطيبها سيدي محمد البوعناني، ثم أعيدت وخطيبها الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمد المرابط الدلائي، والقمح بستين أوقية و نحوها للوسق، ثم أعيدت وخطيبها الفقيه الصالح الزاهد أبو عبد الله سيدي محمد العربي الفشتالي، ومن عشية الغد نزل المطر الغزير المقنع الكثير فانحطت الأسعار[22]."

هذه الإشارة المصدرية تفيد مدى الاصرار على إقامة صلاة الاستسقاء وتكرارها خصوصا في السنوات التي كانت تسجل حدة القحط والجفاف. كما أن الاستجابة كانت فورية في الحالة التي كان يأم فيها الصلاة بعض الصلحاء. وفي هذا الصدد يشير القادري أن المطر قبض في بعض السنين خلال القرن12هـ/18م، فطلب أهل وزان من محمد بن الطيب الوزاني " أن يصلي بهم الاستسقاء، فصلى بهم وخطب فأرسل الله تعالى المطر فورا عقب الصلاة وروى جميع بلاد الغرب وخصبت البلاد [23]". وبموازاة إقامة صلاة الاستسقاء كانت تمارس شعائر من قبيل الصوم والبكاء والعويل وزيارة الصالحين والتشفع لله بالمصاحف[24].

عانااليهود بدورهم من فترات الضيق والشدة الناتجة عن الجفاف، ورأوا في العبادة سبيلا لتجاوز هذا الوضع، وكانوا يخرجون بجموعهم ويطلبون الله[25]. وكانت شعائرهم قائمة على طلب الغيث، فصلاة الاستسقاء عندهم كانت تقام بالتزامن مع إقامتها لدى المسلمين، ويمارسون بالتزامن مع ذلك طقوس وشعائر وعادات شعبية، فيهود صفرو كانت وجهتهم إبان أوقات الجفاف ضريح أحد الحكماء المدفون بسفح الجبل مصحوبين بخرقة دم الختان، ومرددين للابتهلات استنزالا للمطر[26].

2.2.1دور الزوايا

كان المخزن هو المنظم لصلاة الاستسقاء، غير أن أطرافا أخرى لم تكن بالغائبة عنها وفي مقدمتها الزوايا والتي عادة ما كان شيوخها ومريدوها يسجلون حضورهم.فمنذ العصر الوسيط كان السلطان هو الداعي للاستسقاء وطلب الغيث مع استحضار وجود الصلحاء وشيوخ الزوايا، وقد أشار صاحب روض القرطاس، في معرض حديثه عن قيام السلطان المريني "أبي سعيد" بأداء صلاة الاستسقاء بعد القحط الذي أصاب المغرب سنة 711هـ/1312م، "فخرج إلى إقامة سنة الاستسقاء، فمشا على قدميه حتى وصل المصلى والفقهاء والصلحاء والقراء بين يديه بالذكر، كل ذلك خضوعا لله تعالى وواضعا لجلاله وإقامة لسنة نبينا محمد صلـــى الله عليه وسلم،وقدم بين يديه الصدقات، وفرق الأموال في ذوي الحاجات [27].وبموازاة ذلك "سار في جميع جيوشه حتى وصل إلى جبل الكندرتين لزيارة الشيخ الصالح

أبي يعقوب الأشقر، فدعا الله تعالـــــى هنالك، فقبل فقبل المولـــى دعاءهورحمه ورحم بلاده، وأغاث عباده، ولم يرجع من هنالك إلا بالمطر العام بجميع البلاد [28]."وفي العديد من الأحيان كان شيوخ الزوايا هم من توكل لهم إمامة صلاة الاستسقاء فسنة 1094هـ/ 1683م تأخر المطر و"صلى صلاة الاستسقاء سيدي محمد بن محمد المرابط الدلائي بباب الفتوح [29]".

استحضرت كذلك كتب التصوف مشاركة شيوخ الزوايا في طلب الغيث، وأوردت ذلك في شكل قصص تزخر بكراماتهم في إنزال المطر، فصاحب كتاب التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي أورد قصصا في هذا الشأن من قبيل القصة التي يتحدث فيها الشيخ أبي الحسن علي بن أحمد الصنهاجي عن أبي العباس السبتي حيث يحكي أنه بينما كان جالسا مع جماعة من مريدي هذا المتصوف إذ بجماعة من الصبيان يمرون عليهم مستغيثين طالبين للمطر، فطلب من أبي العباس الاستسقاء للناس بعدما أصابهم من القحط والجفاف الضرر الكبيروقد استجاب للطلب فدعا جلساءه للخروج لباب الدباغين، واليوم شديد الحرارة، بعد ذلك سيطلب منهم التصدق بما يحملون معهم، واستمر موكبهم في المسير وأبو العباس "ينظر للسماء ويحرك شفتيه ويطلب منهم ترديد سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، وبعد فترة من المسير سيبشر أبو العباس رفاقه بقرب نزول المطربقوله: "بادروا، المطر، وخذوا نعالكم بأيديكم [30]."

يورد صاحب كتاب التشوف قصة أخرى في ترجمته للرجل الصوفي وجاج بن زلو اللمطي (توفي خلال القرن الخامس الهجري) ففي عهده أصاب الناس جدب بنفيس فذهبوا إليه طلبا للاستسقاء والغيث، " فلما انصرفوا عنه أرسل الله عليهم السحائب بالأمطار ودامت عليهم الأمطار [31]."واستمر بالمغرب خلال العصر الحديث الاعتقاد في قرب شيخ الزاوية من السماء، لذلك تم اللجوء إلى الأولياء الأحياء من شيوخ الزوايا للتوسل إليهم والتوسط بهم لطلب الغيث [32]·فقد كانت قبائل تادلا تعمد إلى طلب الغيث من شيوخ الزاوية الشرقاوية،

فتجد البركة عادة فيما طلبته[33]. نفس الشيء بالنسبة لقبائل سوس فكلما قلت الأمطار في بلادهم قصد وفدهم شيخ زاوية تيمكدشت طلبا للمطر[34].

وسبب هذا الدور، اعتبرت الزوايا في متخيل العامة ملاذا ووسيلة للخلاص من تداعيات الأزمات، ونسجت معها علاقات موسمية كانت مناسبة للتبرك بشيوخ الزوايا وإعلان الولاء الروحي لهم.

3.2.1الفتاوى الفقهية

شَكَّلَ فقه النوازل نموذجا لآلية مواكبة الأحداث الطارئة، وتنزيلها على أصول الشريعة. والنوازل الفقهية بالمغرب سواء خلال العصر الوسيط أو الحديث أو المعاصر، تمكنت من استيعاب مختلف مجالات الحياة، وخاصة ما تعلق بالمعاملات.

وعلاقة بموضوع الأزمة وندرة الماء، وقفت النوازل الفقهية عند العادات المواكبة لها، كما اقترحت نماذجا لحلول تراوح مضمونها بين الإشارة لأساليب الوقاية أو دفع المسببات وفق الضوابط الشرعية. وكان تحديد ضوابط الاستهلاك والدعوة للتكافل من نماذج الحلول المقترحة فقهيا للمساغب والكوارث.

وكان للفقهاء من خلال ما طرح عليهم من قضايا في هذا الشأن، موقف من قضايا السلوك الاستهلاكي، فقد تتبعوا هذا السلوك ووزنوه بمقاييس الشريعة الاسلامية. ومن بين القضايا التي عالجها الفقهاء خلال العصر الحديث مسألة الخروج عن حد الاعتدال في الاستهلاك، حيث تصدوا للظاهرة،[35] وفتاويهم عبرت عن هذا الموقف.

والحفاظ على الموارد المائية نال نصيبه من الفتاوى، فقد شكلت نوازل المياه موضوعا أساسيا داخل كتب النوازل، وأشارت للمشاكل التي كانت تثار بسبب قسمة الماء، وتحديدا خلال حقبة الجفاف. كما استحضرت الفتاوى الفقهية دور المؤسسة الدينية في تقديم الإشارة للسلطان،

وكان الطابع الغالب على الحلول التي قدمتها الفتاوى سواء خلال تاريخ المغرب الوسيط أو الحديث هو اتفاقها على أمر موحد في أمر الجوائحواعتبارها امرا سماويا لا يد للناس فيه ولا

حيلة، ولذلك أفتى الفقهاء في الغالب لصالح المتضرر، وجعلوه في حل ما يلزمه تجاه شريكه أو صاحبه [36]. فكانت الفتاوى بمثابة سند شرعي اعتمد عليه المتضررين بتداعيات الكوارث والأزمات لجبر ضررهم،

3.1 .طقوس وأعراف:

ظهور الأزمات بمختلف أصنافها بالمغرب، واكبته سلسلة من الطقوس والاعتقادات المجتمعية القديمة، والجفاف كان مناسبة تتجلى فيها بعض الاعتقادات التي كانت تحمل في طيتها موروثا من التعبير الرمزي، وكان أبرزها "الطقس المعروف ب "تاغنجا" أو "تاسليت أونزار" أي عروس المطر، الذي يعد من أقدم الشعائر الاستسقائية، و يهدف إلى استمطار السماء حين تكون الأرض والمحاصيل مهددة بالجفاف والتلف وشح المياه[37]."

مارس المغاربة معتقدات أخرى خلال فترة القحط، وخصوصا ببلاد جبالة بالشمال بخروج رجال القرية حفاة بأطفالهم وشيوخهم مع اعتماد طقوس تنتهي بذبح بقرة سمينة في ملك عائلة معينة، يحدد لها ثمن رمزي ، وأخذ كل واحد نصيبه من الوزيعة[38]. وكانت معظم هذه الطقوس في جوهرها جملة رموز عكست جزءا من البنية الذهنية المغربية في بحثها عن سبل الخلاص من الأزمات وتداعياتها.

2. تدبيرالنزاع حول الماء

2.1 دورالعرف المحلي

أنتجت النزاعات حول الماء أعرافا وأنظمة استغلال مكنت من اقتراح حلول للصراعات الفردية والجماعية حول الموارد المائية والتي اتخذت أشكال مختلفة كان أبرزها النزاع بين سكان العالية وسكان السافلة، والذي غالبا ما اقترن بالتوتر بين الجبل والمدينة، كما هو الشأن بالنسبة لفاس وتازة في علاقتهما بالمرتفعات المحيطة بهما [39].ويعد نظام النوبة من أنظمة الاستغلال العرفية والتي تشكلت نتيجة تجارب متعددة، واختلفت من منطقة لأخرى، بل من ساقية لأخرى[40]. وهذا النظام هو الفترة الزمنية التي تستفيد فيها قبيلة أو مجموعة قبائل من ماء الساقية أو غيرها [41].

وتناولت مختلف الأنظمة العرفية حلولا للنزاعات المرتبطة بتقسيم الماء وأساليب التعامل بين الشركاء، كما ميزت بين المياه الممتلكة ومياه السيول. ومن نماذج الحلول وأساليب التدبير التي تضمنتها هذه الأنظمة:

1.1.2تقسيم مصادر الماء:

هناك مصدران لمياه الري، مصدر ينتمي للخواص يقع في أراضيهم وأملاكهم، ومصدر ينتمي للجماعة وهو في الغالب منبع يمد مجاري المياه(إيسافن)[42]. وبالنسبة لطريقة الاستفادة من مياه هذين المصدرين، فالمنبع الواقع في الملك الخاص لصاحب الأرض بشكل مطلق له الحق في استعماله كما يحلو له، ويمكن أن يستفيد جيرانه من المجرى المملوء إلى حد الفيضان دون مقابل. أما المياه الجماعية، فتوزع على المستفيدين حسب حاجياتهم[43].

وهناك أنظمة أخرى للتقسيم سادت بمجال الواحات، فندرة الماء بهذا المجال جعلت ملكيته عند قبائل القصور لا تقل أهمية عن ملكية الأرض وباقي الأملاك العقارية الأخرى[44]. ووفق هذه الأهمية ظهرت عدة أشكال لملكية الماء يمكن إجمالها في: **ملكية فردية** تخضع لكل الإجراءات الشرعية والقانونية التي تخضع لها الممتلكات الأخرى، من حيث التوريث والبيع والشراء والرهن والكراء. أما **الملكية الجماعية**، والتي تعني ملكية القبيلة بكامل أفرادها لمصدر الماء، والذي يتم توزيعه حسب الدور، ويبدأ السقي من عالية الساقية إلى سافلتها[45]. ومكنت هذه الأشكال من التقسيم في تدبير النزاعات حول الماء خاصة في فترة الندرة.

2.1.2الاستفادة من الماء وفق نظام "النوبة"

اعتمد توزيع الماء بعدة مناطق من المغرب على أعراف محلية استندت على ما عرف بنوبة الماء، وهي الفترة التي تستفيد فيها قبيلة أو مجموعة قبائل من ماء الساقية. وفي الكثير من السواقي اختصت عائلة بعينها بنوبة الماء (عائلة القواد المحليين وأصحاب الزوايا) [46]. وقد تعددت طرق توزيع الماء داخل النوبة واختلفت من ساقية لأخرى، بل من مصرف لآخر. كما اختلفت من الملكية الجماعية للماء إلى الملكية الفردية[47].

وبالنظر لدور نظام النوبة في التوزيع العادل للماء، فقد توافق اعتماده مع الضوابط الشرعية، و اعتبره فقه النوازل حلا للنزاعات القائمة حول مصادر المياه، ويمكن الاستدلال في هذا الشأن بأجوبة فقهية حول قضايا توزيع الماء من بينها سؤال عن قوم بينهم نزاع على قسمة الماء الهابط إلى الوادي،[48] وكان جواب الزياتي أن" الماء في أصله غير متملك لأحد، لكن القوم الذين رفعوا الساقية منه يسقون أرضهمالأول، ثم الذي يليه، هكذا إلى آخر أرضهم. وليس لغيرهم أن يدخل معهم إلا أن يسقي حتى يفرغ القوم الذين هبطوا إليه، وليس لأحد أن يبيع الحظ الذي يسقي به أرضه[...] لأنه لا يملكه، إنما يمتلك الانتفاع الذي هو السقي [49]." وهذا الجواب الفقهي هو ضابط شرعي يستحضر العرف ويراعي قيمته ومكانته في التشريع.

2.2الحلول الشرعية للنزاعات حول مصادر الماء

نالت النزاعات حول الماءوالحفاظ عليه نصيبها من الفتاوى، فقد شكلت نوازل المياه موضوعا أساسيا داخل كتب النوازل، وأشارت للمشاكل التي كانت تثار بسبب قسمة الماء وتوزيعها وأساليب استغلالها، واعتبرت الأجوبة الفقهية من الحلول والآليات المعتمدة لتجاوز الخلافات والأفعال الضارة بالموارد المائية.

ولجأ الفقهاء من خلال ما طرح عليهم من نوازل وقضايا السلوك الاستهلاكي إلى تتبع هذا السلوك، ووزنوه بمقاييس الشريعة الإسلامية.ومن بين القضايا التي عالجوها خلال العصر الحديث مسألة الخـــروج عن حـد الاعتدال فيالاستهـلاك، حيث تصدوا للظـاهـرة،[50] وأجوبتهم حول مشاكل المياه عبرت عن هذا الموقف، وأصبحت بمثابة قواعد شرعية وعرفية يتم الرجوع لها في حالة تجدد الخلافات، وفي نفس الوقت عُدَّت بمثابة ضوابط تربوية تنشر قيم ومبادئ الحفاظ على الموارد المائية وحمايتها. ومن نماذج آليات حل النزاعات وترشيد وتدبير الماء المستخلصة من الإجابات الفقهية:

1.2.2 ضوابط حل النزاعات حول حيازة المياه والانتفاع بها

استند الفقهاء بالغرب الإسلامي على المرجعية الشرعية والعرفية، لضبط المشاكل المرتبطة بالماء، وخاصة ما تعلق بحيازة المياه والانتفاع بها. وقد وفرت الإجابات الفقهية حلولا أصبحت بمثابة ضوابط وقواعد لتنظيم استغلال الماء والانتفاع به، ومن نماذج ذلك:

استند الفقهاء بالغرب الإسلامي على المرجعية الشرعية والعرفية، لضبط المشاكل المرتبطة بالماء، وخاصة ما تعلق بحيازة المياه والانتفاع بها. وقد وفرت الإجابات الفقهية حلولا أصبحت بمثابة ضوابط وقواعد لتنظيم استغلال الماء والانتفاع به، ومن نماذج ذلك:

أ . تقسيم المياه بين الأعلون والأسفلون: كانت مياه السقي موضوع نزاع بين الفلاحين، واعتمد الفقهاء على الشرع والعرف المحلي والحجج للفصل في هذه النزاعات. ومن بين الأجوبة الفقهية المقدمة في هذا الشأن:

ـ إذا ثبت أن الماء الذي يسقي به القوم أملاكهم متملك، فهو بينهم على الحظوظ. أما إذا كان غير متملك، وإنما هو من الأودية، فحكمه أن يسقي به الأعلى، ولا حق للأسفل حتى يسقي الأعلى [51].

ـ التساوي في الماء بين الأعلى والأسفل في حالة الغرس في وقت واحد، والأفضلية للأعلى قبل الأسفل إذا كانت له أولوية في الغرس. وإن كان غرس الأسفل قبل الأعلى، انعكس الأمر، فيكون الأسفل أحق بمقدار كفايته [52].

ب . أحكام الاستفادة من المياه: ضمنت الأجوبة الفقهية حقوق مختلف الفئات في الانتفاع بالماء،[53] كما استحضرت مبدأ رفع الضرر، إذا تأكد حدوثه ببينة بهدف حماية الموارد المائية وترشيد استغلالها، وأعطت الأولوية للشرب والزراعة، ولهذا نجد أن كل النزاعات بين أصحاب الأرحي وأهل الجنات تنتهي لصالح المزارعين [54].لكون الفقهاء كانوا يعتبرون أصحاب الجنات أحق بسقيهم لجناتهم من أصاب الأرحية [55].

2.2.2 ضوابط حماية وتنظيف مصادر المياه

طرحت النوازل الفقهية بالغرب الإسلامي قضايا كنس وتنظيف موارد المياه، سواء كانت موارد غير ممتلكة كالأودية أو ممتلكة بشكل مشترك كالآبار والسواقي. ومن بين القواعد الأساسية

التي حددتها الإجابات الفقهية في هذا الصدد، هي أن عملية التنظيف والكنس تتحدد وفق مسؤولية تلويث الماء والمنفعة المائية كذلك [56].

كما أن عملية كنس وتنظيف الآبار والعيون كانت لها قوانينها الخاصة، والمستندة بشكل أساسي على عدم المساس بملكية المياه وأنظمة السقي [57]. ولكن في حالة ما إذا عرف مسبب الضرر، فهو المسؤول عن عملية الكنس والتنظيف. فقد أورد الونشريسي في إحدى إجاباته الفقهية عن نازلة تعذر الشرب من وادي مصمودة والحاجة إلى كنسه، أنه "إذا عين من طرح الزبل فيه، وتعين موضعه، أمر بإزالته وكنسه، لأنه من الضرر الذي يجب رفعه[58]."

انطلاقا من هذه النماذج، يتضح أن إجابات النوازليين حول مشاكل وقضايا الماء مكنت من ضبط حقوق مختلف الأطراف، وترشيد استغلال الماء والحفاظ عليه. وجسدت كذلك تجانسا بين المرجعية الشرعية والعرف المحلي في حل الخلافات المستجدة.

خاتمة:

إجمالا نعتبر موضوع الماء وتدبير ندرته وإيجاد حلول للنزاعات حوله ليس مرتبطا بالماضي فقط، لكنه جزء لا يتجزأ من الحاضر، ويمكن أن تكون حلول الأمس منطلقا لبناء حلول وتدابير لحل النزاعات حول مصادر الماء وكذلك تدبير ندرته حاليا، وذلك استرشادا بتجارب تاريخية في هذا الشأن والتي تجسدت في التفاعل والرغبة في إيجاد حلول للأزمات القائمة والذي كان يسود بين مختلف الأطراف وخصوصا فئة العامة وباقي الفئات الخاصة الممثلة تحديدا في الحاكم والفقيه، باعتبارهماالفئتين المعنيتين أكثر بتدبير آثار أزمنة الحاجات.

وحضور كل طرف ومشاركته في تدبير الحلول كان أولا بغايات مركبة مجسدة في اتقاء شر أزمة ندرة الماء وخطرها، والتي لم تكن تميز بين الخاص والعام، وثانيا بهدف الحفاظ على مكانته ومكاسبه، فكثيرا ما كان غياب أحد الأطراف (الحاكم . الفقهاء ـالزوايا) في المشاركة في تدبير الأزمة يجر عليه اللوم والمحاسبة التي قد تفضي إلى إنهاء دوره السياسي أو الديني.

الهوامش:

(**1**) محمد حبيدة، " الماء فيتاريخ المغرب: التقنية والتنظيم ملاحظات حول القرنين 17 و18م" ، سلسلة ندوات ومناظرات، كلية الآداب و العلوم الإنسانية بعين الشق بالدار البيضاء(المغرب)، العدد11، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1999م، ص130.

(**2**) . محمد حبيدة، م.س، ص 130.

(**3**) . الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج1، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة 2، الرباط، 1983، ص133.

(**4**) . روبير أسبينيون، أعراف قبائل زايان، ترجمة محمد أوراغ، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2007، ص44.

(**5**)- Robert Montagne « Un Magazin Collectif de l'Anti Atlas : l'agadir des lkounka » tome IX, 2eme – 3eme trimestres, librairie larose, paris, 1929, p 163 .

(**6**) -Robert Montagne « Un Magazin Collectif de l'Anti Atlas : l'agadir des lkounka »op.cit,p 200 .

(**7**). جان موكي، أسفار الرحالة الفرنسي جان موكي إلى المغرب و لبنان و سورية و فلسطين، ترجمة عبد الغني أبو العزم، مطبعة فضالة، المحمدية،2003، ص 32.

(**8**) . فرناند بروديل، المتوسط والعالم المتوسطي، تعريب وإيجاز مروان أبي سمرا، دار المنتخب العربي للنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1993، ص51.

(**9**) . الحسن الوزان، مصدر سابق، ج1، ص57.

(**10**) . أحمد البوزيدي، التاريخ الاجتماعي لدرعة (مطلع القرن 17- مطلع القرن 20م) ، مطبعة صونير، الدار البيضاء، 1994، ص37.

(**11**) . الحسن الوزان، م.س، ج1، ص58.

(**12**) ـ نفسه.

(**13**) . الوزان، م.س، ج2، ص148-149.

(**14**) . سعاد الحكيم ، المعجم الصوفي: الحكمة في حدود الكلمة، دندرة الطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1981، ص 827.

(**15**) . محمد بن الطيب القادري، التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، منشورات دار الآفاق الجديدة، الطبعة 1، بيروت، 1983، ص101.

(**16**). محمد الضعيف، تاريخ الضعيف، تحقيق أحمد العماري، دار المأثورات، الطبعة الأولى، الرباط، 1986ص63.

(**17**) . عبد الرحمن ابن زيدان، المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف، تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي، مطبعة إديال، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 1993ص 60.

(**18**) – German Mouette , Histoire de Moulay Ismail, Les sources Inédites de l'histoire du Maroc :Archives et Bibliothèques de France, Par H. De Castries, Tome II, la deuxième série – Dynastie filalienne , Edition Paul Geuthner, Paris,1924,p 126.

(**19**) . القادري، التقاط الدرر، م.س، ص227.

(**20**) . ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بنمنصور، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1973، ص 398.

(**21**) . ابن أبي زرع، روض القرطاس، م.س، ص 398

(**22**) . الضعيف، تاريخ الضعيف، م.س، ص63.

(**23**) . محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، الجزء4، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط 1978، ص266.

(**24**) . الضعيف، تاريخ الضعيف، م.س، ص183.

(**25**) . نفسه.

(**26**) . حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ترجمة أحمد شحلان و عبد الغني أبو العزم، الدار البيضاء، 1987، ص55.

(**27**) . ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، م.س،ص 398.

(**28**) . القادري، نشر المثاني، الجزء2، م.س، ص 311.

(**29**) . ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، م.س، ص 398.

(**30**) . أبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي(ابن الزيات)، التشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، 1997، ص 468.

(**31**) . أبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي(ابن الزيات)، التشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي، م.س، ص 89 . 90.

(**32**) . أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية: دورها الاجتماعي و السياسي،الجزء الثاني، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1989، ص19.

(**33**). أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، م.س، ص19.

(**34**) . محمد المختار السوسي، المعسول، الجزء السادس، مطبعة فضالة، المحمدية، 1960ص181.

(**35**) . عبد الله معصر، ضوابط الاستهلاك في الفقه الإسلامي، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، السنة الجامعية 1998–1999 دار الحديث الحسنية، الرباط، مرقونة، ص314..

(**36**) . محمد فتحة، النوازل الفقهية و المجتمع: أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 6 إلى القرن 9هـ / 12 . 15م) منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية عين الشق بالدار البيضاء، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1999، ص286.

(**37**) . محمد أوسوس، دراسات في الفكر الميثي الأمازيغي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط،2007، ص7.

(**38**) . محمد الأمين البزاز ، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط ، سلسلة رسائل و أطروحات رقم 18، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1992.ص 351.

(**39**) . عبد الرحمن المودن، البوادي المغربية قبل الاستعمار، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1995، ص 368.

(**40**) ـ أحمد البوزيدي، التاريخ الإجتماعي لدرعة(مطلع القرن17م ـ مطلع القرن20م) مطبعة صونير، الدار البيضاء، 1990م، ص 293.

(**41**) ـ ن.م، ص 295 ـ 296.

(**42**) ـ روبير أسبينيون، أعراف قبائل زيان، ترجمة محمد أوراغ، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط،2007، ص142.

(**43**)ـ روبير أسبينيون، أعراف قبائل زيان، م.س، ص143.

(**44**)ـ أحمد البوزيدي، التاريخ الإجتماعي لدرعة، م.س، ص 292.

(**45**)ـ نفسه.

(**46**)ـ أحمد البوزيدي، التاريخ الإجتماعي لدرعة، م.س، ص ص 295-296.

(**47**)ـ نفسه.

(**48**)ـ عبد العزيز الزياتي، الجواهر المختارة مما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة، دراسة وتحقيق غيثة عطوي، رسالة لنيل شهادة الماجستير بكلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية بجامعة قسنطينة2، ج2، 2013م، مرقونة، ص321.

(**49**) ـ الزياتي، الجواهر المختارة، م.س، ص322.

(**50**)ـ عبد الله معصر، ضوابط الاستهلاك في الفقه الإسلامي، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، السنة الجامعية 1998-1999 دار الحديث الحسنية، الرباط، مرقونة ، ص314.

(**51**) ـ ن.م، ص 380.

(**52**)ـ عبد الله معصر، ضوابط الاستهلاك في الفقه الإسلامي، م،س، ص 11.

(**53**) ـ الزياتي، الجواهر المختارة، م.س، ص297.

(54) ـ محمد فتحة، النوازل الفقهية و المجتمع: أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي(من القرن6 إلى القرن 9هـ / 12 ـ 15م) سلسلة الأطروحات و الرسائل، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالدار البيضاء، 1999م، ص 367.

(**55**)ـ أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، ج8، 1401هـ/ 1981، ص385.

(**56**)ـ محمد لمراني علوي، " قضايا الماء في بلاد المغرب الأقصى من خلال كتب النوازل الفقهية: المعيار للونشريسي كنموذج" ، الماء في تاريخ المغرب، سلسلة ندوات و مناظرات، العدد11، كلية الآداب و العلوم الإنسانية بعين الشق بالدار البيضاء، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1999م، ص 61.

(**57**)ـ نفسه.

(**58**)ـ الونشريسي، المعيار، ج8، م.س، ص30.

المصادر والمراجع:

أ ـ بالعربية:

ـأوسوس، محمد، دراسات في الفكر الميثي الأمازيغي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط،2007م.

ـ البزاز، محمد الأمين، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط ، سلسلة رسائل و أطروحات رقم 18، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1992م.

ـ البوزيدي، أحمد، التاريخ الاجتماعي لدرعة (مطلع القرن 17- مطلع القرن 20م) ، مطبعة صونير، الدار البيضاء، 1994م.

ـ بوكاري،أحمد، الزاوية الشرقاوية: دورها الاجتماعي و السياسي،الجزء الثاني، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1989م.

ـ التادلي(ابن الزيات)، أبي يعقوب يوسف بن يحي، التشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، 1997م.

ـحبيدة، محمد، " الماء فيتاريخ المغرب: التقنية والتنظيم ملاحظات حول القرنين 17 و18م" ، سلسلة ندوات ومناظرات، كلية الآداب و العلوم الإنسانية بعين الشق بالدار البيضاء(المغرب)، العدد11، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1999م.

ـ الحكيم، سعاد، المعجم الصوفي: الحكمة في حدود الكلمة، دندرة الطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1981م.

ـ جان موكي، أسفار الرحالة الفرنسي جان موكي إلى المغرب و لبنان و سورية و فلسطين، ترجمة عبد الغني أبو العزم، مطبعة فضالة، المحمدية،2003م.

ـ روبير، أسبينيون، أعراف قبائل زايان، ترجمة محمد أوراغ، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2007م.

ـ ابن زيدان، عبد الرحمن، المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف، تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي، مطبعة إديال، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 1993م.

ـ الزعفراني، حاييم ، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ترجمة أحمد شحلان و عبد الغني أبو العزم، الدار البيضاء، 1987م.

ـ الزياتي، عبد العزيز، الجواهر المختارة مما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة، دراسة وتحقيق غيثة عطوي، رسالة لنيل شهادة الماجستير بكلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية بجامعة قسنطينة2، ج2، 2013م، مرقونة.

ـ السوسي،محمد المختار، المعسول، الجزء السادس، مطبعة فضالة، المحمدية، 1960

ـ الضعيف، محمد، تاريخ الضعيف، تحقيق أحمد العماري، دار المأثورات، الطبعة الأولى، الرباط، 1986م.

ـ الفاسي، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بنمنصور، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1973م.

ـ فتحة،محمد، النوازل الفقهية و المجتمع: أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 6 إلى القرن 9هـ / 12 . 15م) منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية عين الشق بالدار البيضاء، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1999م.

ـ فرناند بروديل، المتوسط والعالم المتوسطي، تعريب وإيجاز مروان أبي سمرا، دار المنتخب العربي للنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1993م.

ـ القادري، محمد بن الطيب ، التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، منشورات دار الآفاق الجديدة، الطبعة 1، بيروت، 1983م.

ـ ـــــــ، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، الجزء4، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط 1978م.

ـــلراني علوي، محمد، " قضايا الماء في بلاد المغرب الأقصى من خلال كتب النوازل الفقهية: المعيار للونشريسي كنموذج" ، الماء في تاريخ المغرب، سلسلة ندوات و مناظرات، العدد11، كلية الآداب و العلوم الإنسانية بعين الشق بالدار البيضاء، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1999م.

ـ معصر،عبد الله، ضوابط الاستهلاك في الفقه الإسلامي، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، السنة الجامعية 1998-1999 دار الحديث الحسنية، الرباط، مرقونة.

ـ المودن، عبد الرحمن، البوادي المغربية قبل الاستعمار، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1995م.

ـ الوزان، الحسن، وصف إفريقيا، ج1، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة 2، الرباط، 1983م.

ـ الونشريسي، أحمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلسوالمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، ج8، 1401هـ/ 1981م.

ب ـ بالفرنسية

– German Mouette , Histoire de Moulay Ismail, Les sources Inédites de l'histoire du Maroc :Archives et Bibliothèques de France, Par H. De Castries, Tome II, la deuxième série – Dynastie filalienne , Edition Paul Geuthner, Paris,1924